وكانه اكتشاف عظيم على الرغم من ان كثيرين كانوا قد سبقوه الى الصهيونية والمستوطنات اليهودية في كل من الارجنتين وفلسطين بتمويل من البارونين هيرش وروتشيلد كانت قد بدات منذ عام ١٨٨١ . ويبدو ان هرتزل لم يكن يعلم بوجود المنظمات الصهيونية العديدة في جميع البلدان آنذاك كما لم يدرك ان ثمة من سبقوه الى « اكتشاف » الصهيونية وعلى راسهم اليهودي الروسي ليو بنسكر الذي كتب كراسه عن الموضوع منذ عام ١٨٨١ . وعلى هذا فانه بدأ تسجيل مذكراته بقوله : « منذ فترة خلت وانا منشغل بعمل لا حدود لعظمته والان لست ادري ان كنت مما نفذه ام لا . وهو يبدو لي حلما عظيما امتلكني اياما واسابيع وشغلني الى ابعد حدود افكاري . وهو يرافقني اينما ذهبت ويرفرف فوق احاديثي العادية وينظر من وراء كتفي الى عملي الصحافي التافه والمضحك فيضايقني وتسكرني نشوته في الوقت نفسه » .

وراح هرتزل يخط في مذكراته برؤوس الاقلام رؤيته للدولة اليهودية دون ان يكون قد قرر ما اذا كانت ستخرج في شكل كتاب عام او رواية . وجاءت كتاباته على مجموعة مذهلة من التفاصيل تراوحت بين سبل تنظيم العمال في دولة المستقبل وسبل اقامة الفرق الموسيقية والمقاهي فيها . وتطرق الى وصف الرحلات البحرية التي تقل المهاجرين الى الارض الجديدة (وربما ارتأى ان العبور سيتم في مرحلة واحدة) . ووصف رؤيته رايته الدولة الجديدة ونظام الحكم فيها ومعاملة الصحافة ومزارع التبغ وجباية الضرائب وفرض الاحتكارات الحكومية على بعض السلع وتنظيم الجيش ... الخ . وليس هناك متسع في هذه المقالة القصيرة لمعالجة المغزى النفسي لهذه الاراء . الا ان رؤية هرتزل لدوره الخاص في عملية تنفيذ المشروع ذات اهمية خاصة في اظهار الدوافع النفسية لدعوة هرتزل الى مشروعه .

مضى هرتزل باكتشافه هذا المشروع في احلامه وامانيه الخيالية عن مستقبل العظمة الذي ينتظره في دولة المستقبل ولما ذهب في جولة الى حدائق التويلاري في باريس في احد ايام صيف ١٨٩٥ وصل الى تمثال غامبيتا ، فقال لنفسه : « آمل ان يقيم اليهود لي تمثالا اكثر رونقا من هذا » . ولم يكتف هرتزل بترقب المجد لنفسه بل راح يوزع المراكز على معارفه . وما ان فكر بموريتز غودامان ، كبير حاخامي فيينه ، حتى قرر ان يضعه في منصب « الاسقف الاول » في عاصمة دولة المستقبل . كما سجل هرتزل ما يلي « مبدأ : ان كل من يأتيني من معارفي السابقين ، قريبا كان ام بعيدا ، سيحصل على مركز مرموق » . وهنا يبدو ان هرتزل احس بالحاجة لتبرير مظهر السلطان الذي ارتاه لنفسه فكتب : « ان روسو قال بالواقع التعاقدي للمجتمع وهو خاطىء بذلك ... ففي الدولة قائم بالادارة فقط ... وهكذا سأقوم بادارة شؤون اليهود دون انتدابهم لي » . وعاد هرتزل الى التفكير بتوزيع المراكز في دولة المستقبل فقرر ان اباه سيكون السناتور الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وجاء القيصر الالماني على ذهن هرتزل فاثار آمال المستقبل لديه وقال لنفسه : « انني سأتعامل مع عظماء هذه الارض كمساو لهم » . كان هذا في ٨ حزيران ١٨٩٥ ، وفي اليوم التالي انشغل هرتزل في تسجيل ما سيكون لقبه الخاص فكتب : « لكي اتجنب تعريفي بلقب « مدير » في انكلتره ، وهو ذو مسمع تجاري ، فربما سأتبنى لقب مستشار (على النمط الالماني) او شيء من هذا القبيل ... وسلامتي الشخصية ستكون موضع اهتمام جهاز فعال من البوليس السري ... وسأمتنع شخصيا عن قراءة اي صحف (...) وسأعطي الاوامر بألا يطلعوني على اي شيء مما يكتب عني في الصحافة سواء اكان ذلك مدحا ام ذما ، اذ من الان فصاعدا سيكون لي حق وواجب اللامبالاة تجاه اي تهجمات شخصية من اي نوع كانت . اما اذا بدا ان تيارا في الراي العام قد نشأ ضد المشروع فينبغي اعلامي بالمسألة في الحال كي اتمكن من ضرب المعارضة » !